ألفتور الروحي

مكتبة كنيسة العذراء . حرمريل

٢/١٤٥

١٧

الفتور الروحى

أشار إليه معلمنا القديس يوحنا الإنجيلى فى الإصحاح الثالث من سفر الرؤيا إذ يقول « أكتب إلى ملاك كنيسة اللاودكيين هذا يقوله الشاهد الأمين الصادق : أنا عارف أعمالك أنك لست باردآ ولا حارآ ، ليتك كنت بارداً أو حارآ هكذا لأنك فاتر ولست بارداً ولا حارآ أنا مزمع أن أتقيأك من فمى . . . » (رؤ ٣ : ١٤ - ١٦).

لماذا نرى الفتور الروحى مشكلة خطيرة فى حياة الانسان ؟

إثنان لهما صلة قوية بالله ، أو يمكن أن تكون لهما صلة قوية بالله . إثنان دموعهما حاضرة وقلباهما حاران : واحد منهما قريب العهد بالتوبة ، مازالت خطاياه أمامه يبكى عليها بدموع ، ويحتد فى قلبه . وإنسان آخر وصل إلى درجة روحية عالية وله دموع الحساسية والحب . أما الشخص الذى فى منتصف الطريق فهو إنسان فاتر .

إنه يشبه شعب الله فى برية سيناء . تركوا أرض العبودية ،

ولكنهم لم يصلوا بعد إلى أرض الميعاد . كذلك هو ليس فى حالة خطية ، ولم يصل بعد إلى الحالة الروحية الحارة .

إنه لا يعيش فى عمق الخطية لكى توقظ الخطية ضميره وتشعره بأنه « شقى وبائس وفقير وأعمى وعريان » . وتتعبه وتجعله يطلب إصلاح حالته ويقوم ليعيش مع الله . ولا هو اختبر بعد حياة الاتحاد العميق بالله . إنه فى الحالة التى يقول عنها الكتاب « لست حاراً ولا بارداً » . أو (هو بين بين كما يقولون) ! !

أسباب الفتور

١ ـ الابتعاد عن مرحلة التوبة

إن أول سبب للفتور الروحى هو الابتعاد قليلا عن مرحلة التوبة وعن تذكار حياة الخطية . فهوذا إنسان كان خاطئاً منذ زمن وكان ضميره يوبخه وقتئذ ويتعبه ، فكان ينسكب أمام الله ويسحق ، أما الآن فقد نسى خطيته ولم يعد يذكر متاعبه وتقاصه وفى ذات الوقت هو ثابت فى الحياة مع الله قليلا . . . قليلا . فلا هو بلغ إلى كمال الحياة الروحية ولا هو شاعر بخطاياه . . .

وكيف تعالج مثل هذه الحالة ؟

هل أرجع إلى الخطية خصيصاً لكى يستيقظ ضميرى فيوبخنى ؟ ! قطعاً كلا . هذا كان مبدأ راسبوتين الفاسد الذى ينادى بأن الانسان الذى يريد أن يحيا مع الله لابد له أن يتوب توبة قوية وهذا يستلزم ـ فى نظره ـ أن يسقط فى « خطية قوية » ، وكان راسبوتين يدعو الشعب إلى السقوط الشديد فى الخطية حتى إذا تلطخ بالأوحال تعب ضميره وهب للتوبة وصار هذه المرة حاراً فى الروح ! ! وطبعاً هذا رأى خطير وفاسد كما استنكره الرسول بولس قائلا « أفنبقى فى الخطية لكى تكثر النعمة ، حاشا نحن الذين متنا عن الخطية كيف نعيش بعد فيها » (رو ٦ : ١ ، ٢) . لأنه لو سلك الانسان هكذا فربما يسقط فى الخطية ولا يقوم منها أبداً ، ولا يوبخه ضميره إذ يعتد لذة فيها ، وأنت يا أخى لست محتاجاً أن تقع فى خطية جديدة لكى يبكتك ضميرك وترجع إلى حرارتك المفقودة إذ عندك رصيد كبير من خطاياك القديمة ويمكنك أن تتذكرها . عيناً أنا نسى خطايانا ، وبنسيانها نبعد عن الالتصاق ونبعد عن التوبة وتفتر .

٢ ـ الأسراع إلى الفرح والتعزية

من الأسباب الرئيسية التى يجلب الفتور أن يسرع الخاطىء إلى حياة الفرح وإلى التعزية وإلى نسيان الخطية ونسيان الماضى وهكذا يفقد حرارته . أما أنت فاحتفظ بحرارتك الروحية باستمرار . إجعل تذكار خطاياك أمامك فى كل حين . تذكر دائماً ضعفاتك ونقائصك والذل القديم الذى كنت فيه واعرف أنه من الممكن أن تقع فيه مرة أخرى .

لاشك أنه مما يجلب لنا الفتور ، إستعجالنا لغفران الله أكثر مما يجب . . . يكفينى أن أعترف بخطاياى ويقرأ لى الكاهن التحليل ، فاظن فى نفسى أننى قد أصبحت صفحة بيضاء ناصعة ، وأنسى كل الماضى البشع ، وأنسى كل الخطايا السابقة وكل نقائصى وسقطاتى . . . أنا لا أريدك يا أخى أن تنسى أن الشخص الذى يضع خطاياه أمامه فى كل حين لا تدركه حياة الفتور . بل كلما تجف عيناه من الدموع ، ترجعها إليه الذكريات القديمة المريرة فتعود إليه دموعه مرة أخرى . فكن أنت هكذا . إياك أن تنسى خطاياك ، أو تظن أن الخطية شىء قديم قد أنتهى ، أو تتخذ من غفران الله مبرراً للنسيان والاستهانة . . .

إن داود النبى بكى بدموع كثيرة بعد أن غفرت له الخطية ، وليس قبل المغفرة . غفرت له الخطية ولكنه مع ذلك ظل يبكى عليها مبللا فراشه بدموعه .

إن هناك فرقاً كبيراً بين أن تغفر لك الخطية وبين أنك تنساها . . . لا تنس خطيتك أبداً ، فداود يقول « خطيتى أمامى فى كل حين » (مز ٥١ : ٣) . حقاً إن الله قد غفرها ولم يعد يذكرها أما أنت فلا بد أن تذكرها . الله لا يذكر لك خطيتك إذا كنت تذكرها أنت . هناك عبارة جميلة قالها القديس الأنبا أنطونيوس « إن نسينا خطايانا يذكرها لنا الله ، وإن ذكرنا خطايانا ينساها لنا الله » . هل تريد إذن أن ينسى الله خطاياك ، أفتكرها أنت باستمرار ، وبذلك تنسحق نفسك على الدوام ، وفى الانسحاق يشفق الله عليك وينسى خطاياك . حقاً إن الأب الكاهن قرأ لك التحليل وغفرت لك خطاياك . ولكن إياك أن تنسى ماضيك . كلما تنظر إلى صورة يسوع المصلوب قل له من أجل خطاياى يارب أنت صلبت . . . وكلما رأيت صورته فى بستان جثسيمانى قل له « هذه الكأس التى تطلب عبورها يارب عنك ، مملوءة مرارة من خطاياى . خطاياى هى سبب المر الكبير الذى فى هذه الكأس » وإن رأيت صورة

الرب واقفاً تحت الصليب قل له : « إن ثقل هذا الصليب من خطاياى . . . وأنا الذى سببت لك كل هذا » . ولتكن نفسك حساسة باستمرار فليست التوبة أن تنسى الخطية بل أن تشعر أن خطيتك أمامك فى كل حين . فهناك إنسان بره الجديد الذى يفعله الآن ، ينسيه خطاياه القديمة ، وكلما عمل براً أنتفخت نفسه من الداخل ولبس السبع سنوات العجاف فى الخطية التى تعب فيها كثيراً . . . مثل هذا الانسان معرض للرجوع إلى الخطية ثانيـــة .

وهناك إنسان آخر كلما يصنع براً ، يضع خطيته بينه وبين ذلك البر ، فيختفى من أمامه هذا البر الجديد ولا يذكر إلا ماضيه الأثيم .

إن كنت تريد أن تحيا حيـاة خالية من الفتور تملك عليها الحرارة الروحية ، فباستمرار تذكر أنك ضعيف ومن الممكن أن ترجع إلى ماضيك مرة أخرى « من هو قائم فلينظر أن لا يسقط » (١ كو ١٠ : ١٢) .

إن بولس الرسول - أيام أن كان شاول الطرسوسى - إضطهد كنيسة الله ، إضطهدها فى الماضى ، عن جهل ، وعن غيرة ليست

حسب المعرفة . ثم ظهر له السيد المسيح ودعاه ليس للتوبة فحسب وإنما دعاه أيضاً للخدمة وجعـــله رسولا . فمات شاول القديم وولد بولس الجديد ، والأشياء العتيقة قد مضت والكل قد صار جـديداً » (٢ كو ٥ : ١٧) وتحول شاول المضطهد إلى بولس الرسول العظيم الذى تعب أكثر من جميع الرسل ، وكتب ١٤ رسالة وعمل الكثير من المعجزات والآيات والقوات والعجائب ، وصعد إلى السماء الثالثة ، ورأى وسمـــع أشياء لا ينطق بها » (٢ كو ١٢) . حتى خاف الرب عليه من كثرة الاستعلانات . . . وبعد كل هذا يكتب عن نفسه « أنا الذى لست أهلا أن أدعى رسولا لأنى اضطهدت كنيسة الله » (١ كو ١٥ : ٩) ! ! ما هذا يا بولس ؟ ! أما تزال تذكر ذلك الماضى القديم الذى مرت عليه سنوات طوال أكثر من أربع عشرة سنة ، سنوات طويلة وتغيرت فيها وتجددت وأصبحت إنساناً آخر . أما زال ذلك يردد أنك اضطهدت كنيسة الله ؟ ! وأنك أول الخطاة ؟ ! يجيبنا : « نعم ، لست مستحقاً أن أدعى رسولا لأنى اضطهدت كنيسة الله . حقاً لقد حـــدث ذلك منذ زمن ، وأرتكبته بعدم معرفة ، ولكن خطيئتى أمامى فى كل حين ولا أستطيع أن أنساها مهما تغيرت » . من أجل هذا كان بولس المبارك حاراً

فى الروح دائما .

إذن لكى لا تفتر حياتك ، تذكر خطاياك باستمرار . كلما سرت فى طريق الرب وحوربت بالبر الذاتى ـ كأن تمدح من الناس مثلا ـ تذكر حينئذ خطاياك . كلما تمدح من الخارج ، بكت نفسك من الداخل وقل أنا فعلت كذا وكذا . إن أتاك فكر بأنك خدمت وخدمت وأصبحت عظيماً وتجددت ، قل إننى خاطىء ومسكين وفقير وعريان . كلما أتاك فكر إدانة إنسان ، قل إن هذا الإنسان أبر منى لأننى أخطأت فى كذا وكذا . . .

لا تسمح لأحد أن يخدعك ويقول لك أنت دخلت فى حياة الفرح أحذر أن يقول لك أحد نفذ الآية التى قالها بولس الرسول « افرحوا فى الرب كل حين وأقول لكم أيضاً افرحوا » (فى ٤ : ٤) . وهكذا يقول لك إن وقت الدموع قد أنتهى ، وأنت قد دخلت فى دائرة العزاء الإلهى ! ! لأنك لو أطعت هذا الكلام بغير فهم وتأمل سوف لا تفقد الحرارة الروحية فقط بل قد تفقد نفسك أيضاً .

إذا أتاك مثل هذا الفرح فارفضه . قل له يارب إن الذين وصلوا إلى درجة بولس هؤلاء فليفرحوا بالرب كل حين . أما أنا

فإنسان خاطىء لا استحق هذا الفرح ، إننى فى أرض الشقاء والتعب والدموع . أما هذا الفرح فآخذه هناك فى ملكوت السموات . لست أريد أن آخذ أفراحى على الأرض .

إن قال لك أحد ينبغى أن تفرح بالنعمة العاملة معك ، قل هذا حق ولكننى لا أنسى أيضاً الحيوان الرابض فى أحشائى . لا أنسى طبيعتى المائلة القابلة للسقوط إذ كلما أعمل الخير أجد الشر حاضراً أمامى « والشر الذى لا أريده إياه أفعل » (رو ٧) .

ضع أمامك الآية القائلة « من يظن أنه قائم فلينظر أن لا يسقط » (١كو ١٠ : ١٢) . وكذلك الآية التى تقول « سيروا زمان غربتكم بخوف (١بط ١ : ١٧) . وتمموا خلاصكم بخوف ورعدة » (فى ٢ : ١٢) . ضع أمامك قول الكتاب : « هو ذا إبليس خصمكم كأسد زائر ملتمساً من يبتلعه » (١بط ٥ : ٨) . وأيضاً « لم تقاوموا بعد حتى الدم مجاهدين ضد الخطية » (عب ١٢ : ٤) .

قل لنفسك : لم يحن الوقت بعد . إن الفرح والعزاء شيئان جميلان ولكننى لست أستحقهما . إننى إنسان خاطىء تنفعنى الدموع وينفعنى البكاء وتذكار الخطيئة . ولكى أسلك حسناً يليق بى على الدوام أن أظل شاعراً بضعفى .

والإنسان الذى ينسى خطاياه يقل احتراسه . بينما الإنسان العارف بضعفه المتذكر نقائصه هو كثير الاحتراس، كثير التدقيق ، كثير الخوف . عندما كنت فى بدء حياة التوبة ، كنت شديد الحرص والحذر من أقل شىء يعثر أو يسبب السقوط وأما الآن فقد أخذت حريتك وسرت بهواك . بحيث لو حذرك أحد من العثرة أو السقوط فى خطية ما ، تجاوبه فى ثقة : « تلك يا أخى خطايا المبتدئين . لقد كنا نخشى أمثال هذه العثرات فى ذلك الزمان عندما كنا فى أول خطوة من خطوات الطريق . أما الآن فأشكر الله أن هذه العثرات لم تعد تتعبنا كما كانت قديماً عندما كنا أطفالا نقتات باللبن . إننا الآن نتغذى الطعام القوى الذى للبالغين » . ـ إن قلت هذا الكلام ، فلا تكون على وشك السقوط بل تكون قد سقطت فعلا . لذلك عليك باستمرار أن تشعر بضعفك ، وبحاجتك كل حين إلى احتراس كبير حتى من أقل الخطايا وطالما أنت سائر فى احتراس ، وسائر فى خوف ، فإنك تظل محتفظاً بحرارتك الروحية .

✝ ✝ ✝

٣ ـ شكلية العبادة

والسبب الثالث للفتور هو شكلية العبادة : والمقصود هنا العبادة الشكلية الطقسية الجافة الخالية من الروح . فلقد كنت فى الماضى متضايقاً وضميرك غير مستريح بسبب أنك لا تصلى ولا تصوم ولا تذهب إلى الكنيسة ولا تقرأ كلمة الله ولا تعترف ولا تتناول ، ولا تقرأ فى سير القديسين ولا تستخدم باقى وسائط النعمة .

ثم بدأت فى الحياة مع الله وأصبحت تصلى وتصوم وتقرأ فى الكتاب المقدس وفى سير القديسين وتتأمل وتخدم وتستخدم وسائط النعمة كلها ، وبمرور الوقت إبتدأت هذه الوسائط تفقد حرارتها وتأثيرها وهيبتها . عندما كنت قريب العهد بالتوبة كنت تدخل الكنيسة بخوف ، وتقول فى نفسك إن الكنيسة للقديسين « وبيتك تليق القداسة يارب » (مز ٩٣ : ٥) ومن أنا الانسان الفاجر حتى أدخل بيت الله ؟ ! ، وأما أنا فبكثرة رحمتك أدخل بيتك وأسجد قدام هيكل قدسك بمخافتك » (مز ٥ : ٧) . وكنت تدخل الكنيسة فعلا بخوف ورعدة وبحرارة وكنت ترتعش وتقول : يارب أنا مثل اللئام فى هذا

اللحن الجميل . أنا مثل الغريب وسط هؤلاء القديسين . لست أستحق أن أقف وسط هؤلاء الناس وأنا إنسان خاطىء أخاف أن ينسكب غضبك على المكان بسببي ، أخاف أن الملائكة تشمئز من منظري داخل الكنيسة ، وتقول من أدخل هذا الغريب هنا ؟! ... الخ ولكن كلمة « أنا خاطئ » هذه « كانت زمان » وأنتهى أوانها ...

إبتدأت الآن تدريجياً ترفع الكلفة ، وفقدت الكنيسة هيبتها في نظرك ، وصرت تدخلها كثيراً ، وأصبحت تجلس فيها وتتحدث مع هذا وذاك بل وتضحك أيضاً . وبمرور الوقت تحولت عبادتك إلى شكليات . صرت تستخدم كل وسائط النعمة ولكن ليس بالروح الأولى . إنك تصلي ولكن بدون روح وبدون فهم وبدون عاطفة . وتصوم ، ولكن كواجب . وتعترف ، لمجرد أن تتخلص من الصفحة القديمة وتكتب صفحة جديدة غيرها . وتتناول ، ولكن ترجع وتخطىء الخطايا القديمة هي هي . أصبحت عبادتك شكلية ، صارت صنماً طقسياً تتعبد له .

حاول إذن أن تعبد بالروح . حاول أن تصلي بفهم ، وترتل بفهم ، وتقرأ الكتاب بفهم ، ... حاول أن تصلي بعاطفة ،

وتقرأ بعاطفة ، وتصوم بعاطفة ... حاول أن تدخل إلى روح العبادة وليس إلى شكلياتها . كما قال القديس مار أسحق « إذا كنت تصلي المزامير بدون عاطفة وبدون فهم قل لنفسك أنا ما وقفت أمام الله لكي أعد ألفاظاً ، ولكني أريد أن أصلي » ... هذه العبادة الشكلية توجد ناحية من نواحي الملل والكدر . وبالملل والضجر تفتر في حياتك الروحية .

سبب آخر من أسباب الفتور وهو .

† † †

٤ ـ الشعور بأهميتك في الكنيسة

إنك الآن تدخل الكنيسه لتخدم فيها . إبتدأت تعتبر نفسك عموداً من أعمدة الكنيسة . إختلف الوضع كثيراً عن ذي قبل . كنت قبلا تعتبر نفسك غير مستحق لدخول الكنيسة أو للوقوف بين القديسين ! . أما الآن فإنك تقول كلاماً آخر . إذا كنت خادماً تقول في نفسك « لو أني تغيبت اليوم عن الكنيسة ، أين يذهب أولادي ؟ وماذا يحدث لفصلي ؟ لا شك أن الخدمة سترتبك وتتعطل » . كأن الكنيسة ستتزعزع أسسها بسببك !! وترتيبك في غيابك ! هل وسط هذا الجو من التفكير يأتيك الاتضاع وحياة الانسحاق ؟!

قد تغيب فى أحد الأيام لسبب قهرى ، فيأتى أهل الكنيسة للسؤال عنك ، ويحدثونك عن المتاعب التى نتجت عن غيابك ، فتفسر أنت لسماع ذلك . . . لقد ضاعت الأيام السابقة ، ضاعت أيام الانسحاق ! هل تستطيع الآن أن تدخل الكنيسة وتقول كما كنت تقول قبلا « أنا يارب غير مستحق أن اقف أمام القديسين » ؟! بينما قد صرت الآن يا أخى من زعماء القديسين ! من القادة ومن البارزين فى الكنيسة ! أتسألنى بعد هذا عن أسباب الفتور ؟ ! هى حالتك هذه التى أنت فيها ، شعورك بأهميتك فى الكنيسة .

من أجل هذا يحلو للرب أحياناً أن يبعد هؤلاء المهمين عن جو الخدمة ، لكى يريهم أن الكنيسة ما زالت كنيسة بدونهم وأنهم لا شىء ...

إيليا النبى العظيم بعد انتصاره على جبل الكرمل ، وقتله ٤٠٠ من أنبياء البعل ، وبعد نزول المطر بصلواته ... بعد هذا النصر العظيم يقول له الرب كلمة عجيبة ، اذهب امسح ياهو ملكاً بدلا من آخاب ، وامسح أليشع نبياً عوضاً عنك » ١ مل ١٩ : ١٦ . ومن المعقول يارب أن يمسح ياهو بدلا من آخاب ، لان آخاب ملك شرير أفسد عقيدة الشعب . ولكن ما معنى أن أليشع يمسح نبياً بدلا

منى ؟ ! هل يمكن لك يارب أن تستغنى عنى بعد هذا النصر العظيم ؟ ! ، نعم ، يمكن الإستغناء عنك ، « إن الله قادر أن يقيم من الحجارة أولاداً . أقم إذن أليشع نبياً بدلا عنك » ، وسيأخذ اثنين من روحك ، ويكون أعظم منك فى كل شىء ... أترى يا ايليا سوف لا يجد الله سواك ؟ !

ليكن لك هذا الشعور يا أخى فى خدمتك باستمرار . فهناك كثيرون أفضل منك يستطيع الرب إستخدامهم . قد تقول هل أترك إذن الخدمة لأشعر بعدم أهميتى ؟ كلا ، لا تترك الخدمة بل أعمل فيها وقل : « يارب إننى كثيراً ما أعطل الخدمة ، وربما أكون عثرة للأولاد . ربما لو كان الخادم غيرى ، لكان المخدومون يستفيدون أكثر . هؤلاء الأولاد الذين أخدمهم ، لا أستحق تراب أرجلهم . فى اليوم الأخير عندما تفتح الأسفار وتكشف الأعمال وتفحص الأفكار ، أين أخفى ذاتى من وجه أولادى هؤلاء ، عندما تنكشف أمامهم أعمالى الرديئة البشعة ؟ ! إننى فى غاية الخجل من نفسى ، إننى عثرة للأولاد . أبحث يارب عن غيرى ، فأنا لا أستحق الخدمة » .

بهذا الشعور أخدم يا أخى . وحاذر أن تدخل الكنيسة ،

بقلب منتفخ وأنت شاعر بأنك مهم ، بل أدخل بقلب منسحق وأنت شاعر بأنك لا تستحق الخدمة . . . أشعر أنك أقحمت نفسك فى المتكآت الأولى ، وأنك تطفلت على الخدمة ، وأنك شخص مرائى داخل الكنيسة ، تتظاهر بالقداسة وخطاياك مخفية لا يعرفها إلا الله وأب إعترافك وضميرك، كلك رياء تلبس ملابس القديسين ، وداخل هذه الملابس عظام نتنة . . . قل له أشكرك يارب لأنك سترتنى ، ولم تفضحنى أمام الناس ، ولم تكشف لهم حالتى . ولو كشفتها لهم لطردونى خارج الكنيسة وليس فقط خارج الخدمة .

سبب آخر من أسباب الفتور وهو :

٥ – ان الله يعيش على سطح حياتك وليس فى العمق

لما كنت حاراً فى الروح ، كان الرب فى أعماقك ، لكنه الآن ليس فى أعماقك . لماذا ؟ لأن أشياء أخرى قد دخلت فى أعماقك . أمر من أمرين دخل إلى أعماقك سبب لك الفتور وكل واحد من الامرين له خطورته :

ا – إما انه دخلت فى أعماقك خطية من الخطايا .

ب – أو دخلت فى أعماقك اهتمامات غير إلهية .

وكلاهما يجلبان الفتور .

(ا) ربما تكون خطية قد دخلت إلى أعماقك دون أن تحس أو وأنت تحس . وهذه الخطية قد أربكت حياتك كلها ، وسببت لك الفتور . أبحث ما هى هذه الخطية . قد تكون كبرياء ، أو براً ذاتياً ، أو غضباً ، أو إدانة للآخرين . لا يوجد أكثر من الكبرياء أو إدانة الآخر بجلبة الفتور . لأنك عندما تتكبر يرفع الله نعمته عنك وتسقط فى حياتك الروحية . وعندما تدين غيرك على خطية ، يجب الله أن يشعرك بأنك لست أقوى من غيرك ، فيبتعد عنك النعمة قليلا فتسقط فى الخطية . كثيراً ما يكون سبب فتورك هو إدانة الآخرين . لأن كثيراً من الأشخاص الذين يدخلون الحياة مع الله ، ويحيون حياة مقدسة معه ، ويسيرون حسناً فى طريقه ، يظنون أنهم صاروا أفضل من غيرهم ، ويبدأون فى إدانة غيرهم . عندئذ يسحب الله نعمته فيسقطون فى الخطية .

أبعد عن إدانة الآخرين ، وعن الدخول فى السياسات والمشاكل تعود لك الحرارة الروحية . فكر فى نفسك أنك إنسان خاطئ، تحتاج للاصلاح . أما إذا فكرت فى أن الكنيسة كلها مخطئة تحتاج إلى الاصلاح ، تفقد حرارتك . كنت حاراً

فى القديم لأنك كنت تفكر فى نفسك كيف تخلص . أما الآن فقدت حرارتك لأنك تفكر فى كيف تخلص غيرك ، وأما نفسك فلا تحتاج إلى تخليص .

لقد صارت نفسك بارة ،ووصلت، ولا تحتاج إلى خلاص!

إن الانهماك فى إصلاح الآخرين أضاع أناساً كثيرين . يريد الشخص أن يصلح غيره ومن أجل هذا فهو طول الوقت يفكر فى خطايا الآخرين ، وبذلك ينسى خطاياه ويفتر ، يظن أنه قد وصل إلى درجه أعظم . وبعد أن كان يخلص نفسه ، هو الآن يخلص جماهير . إنه يظن أنه قد ارتفع، وفى الحقيقة انه نزل إلى أسفل . لأنه فى محاولته تخليص الآخرين قد اضاع نفسه .

(ب) قد يكون سبب فتورك أن خطية قد دخلت إلى قلبك كخطية الإدانة هذه ، وقد يكون السبب دخول اهتمامات كثيرة إلى قلبك فسببت لك الفتور . فى أيام حرارتك الأولى كان أمر واحد يشغل اهتمامك هو خلاص نفسك. أما الآن فإن إهتمامات كثيرة قد دخلت إلى نفسك ، فأصبح اهتمامك بخلاص نفسك على الهامش .

تحدثت مرة مع خادم كبير فأخبرنى بأنه متعب فى صلاته .

سألته السبب فأخبرنى بأنه ليس عنده وقت . فلما استوضحته عن سبب ضيق وقته . سرد لى قائمة كبيرة جداً بمشغولياته فى الخدمة من اجتماعات خدام وشبان وفصل وتحضير وإشراف على النادى وحل مشاكل . . . و . . . الخ مما لا يترك له وقتاً للصلاة . كفى هذا يا أخى ؟ لماذا تضع الله آخر القائمة ؟ فإن بقى له وقت بعد الافتقاد والتحضير والاجتماعات والنادى ، تصلى وتقرأ وتتعبد . . . لماذا لا تضع الله أولا .

كثير من الناس وصلوا إلى حالة الفتور بسبب إنهماكهم فى الخدمة إنهماكاً فوق الطاقة . الذى لا يخدم منهم فى التعليم ، يخدم فى الافتقاد وفى زيارة المرضى والاهتمام بالفقراء والإداريات . ليس لهم وقت فراغ ، لم يضعوا الله فى المكان الأول من مشغولياتهم ، لم يعد خلاص أنفسهم فى المكان الأول من اهتماماتهم إنهم يهتمون الآن ويضطربون لاجل أمور كثيرة والحاجة إلى واحد . وربما يكون سبب فتورك أنت من هذا النوع . . .

تأمل أحدهم فى قصة الابن الضال . وقال إن أخاه الأكبر وقع هو أيضاً فى ضلال كما يتضح من المناقشة التى دارت بينه وبين أبيه . فكان سبب ضلال الابن الأصغر أنه أشتهى الكورة البعيدة . أما

الابن الاكبر فكان ضلاله بسبب إنهماكه فى الخدمة بحيث لم يكن له وقت يفكر فيه فى الآب ولا الجلوس معه . وبمضى الوقت أخطأ . فإن كان الاهتمام الكثير بأمور الخدمة يسبب الفتور ، فكم بالأولى الاهتمام بالأمور العالمية ! ؟

إنسان تفتر حياته بسبب مسألة تحدث له تشغل وقته كله . كأن يمرض أحد فى البيت ، فانشغل به . إهتمام بالمريض والأطباء والأدوية والزائرين . . . الخ بحيث لا يبقى وقت للعبادة . أو تكون ظروف امتحانات بالنسبة لى أو لأحد أقرباتى تأخذ كل الوقت ولا تترك فرصة للعبادة . أو توجد حادثة وفاة أو ظروف زواج أو دراسات عليا أو عمل إضافى أو مشغوليات مسائية ، ستوعبت كل الوقت وبإرادتى شغلت نفسى بحيث لم يبق لدى وقت للعبادة . . . لا شك كل هذا طبعاً يسبب الفتور . . . أتسأل بعد ذلك لماذا ضاعت حرارتى الأولى ؟ ! إن مشغوليتك هى السبب . أنت تضطرب وتهتم لأجل أمور كثيرة ، ولكن الحاجة إلى واحد . . . إذا أردت أن ترجع إليك روحياتك ، ضع الله فى رأس القائمة ودبر مشغولياتك الأخرى بحيث لا تعطلك عن أمورك الروحية .

من أسباب الفتور طريقتنا فى معالجة الأمور : كأن تحدثنى مشكلة فأعطيها كل عمق ، ونتيجة لذلك لا يصير الله فى أعماقى . لأن المشكلة قد استولت على كل مشاعرى الداخليـــة وعلى تفكيرى ولم تبق عندى فرصة للصلاة . حتى إن صليت أو جلست بمفردى ، بدلا من التأمل فى الله أسرح فى المشكلة . عندما أجلس مع الناس ، أحدثهم عن هذه المشكلة بدلا من حـــديثى فى الروحيات . هذه المشكلة يا أخى إستولت على أعماقك ، وسببت لك الفتور . فإن كنت تريد أن تحيـا حياة روحية ، خـذ كل الأمور ببساطة ، بطريقة سطحيـة . واترك الأمـور تسير ، ولا تدع أمور العالم تدخـل إلى أعمـــاقك وتفقدك حياتك وحرارتك الروحيـــة . المسألة لا تستحق أن تهتم كل هذا الاهـــتمام الكبير .

يا ليتنا نهتم بخلاص نفسنا ، كما نهتم بالمشاغل المحيطة بنا أو كما نهتم بكرامتنا الشخصية العالمية . إذا قال لى إنسان كلمـة تغضبنى ، أظل أغلى من الداخل ، وأفكر فى هذه الكلمة بعمق ، وتسبب لى إشكالا . ووسط كل هذا تضيع حياتى الروحية .

فلا تأخذوا الأمور بعمق ، ولا تعطوا أعمـــاقكم لمشاكل

العالم ، ولا حتى لمشاكل الكنيسة . أتركوا العمق لله وحده . وإذا فكرتم فى الكنيسة ، فاجعلوا الله يفكر معكم ، واربطوا الموضوع بالله نفسه . لا تفقدوا حرارتكم الروحية . لا تعطوا أعماقكم لغير الله . . .

٦ - ومن أسباب الفتور أن يترك الانسان الخطية ويستبقى أسبابها .

أى يبعد عن الخطية وأسباب الخطية ما زالت قائمة . وهذا يجلب الفتور .

٧ - ومن أسباب الفتور الانحدار البطىء .

فالانسان يشعر بالانحدار السريع ، أما الانحدار البطىء لا يشعر به الفرد ، لأنه ينزل قليلا قليلا . . . دون أن يحس ، إلى أن يجد نفسه فى الحضيض . والانحدار البطىء هذا هو الذى يجعل الانسان يسقط دون أن يحس ، فيقع فى الفتور .

✝ ✝ ✝

خاتمـــة

وماذا تعمل إذن ؟

(ا) ألبس كل ما مضى ، وابدأ من جديد . أربط نفسك بجميع وسائط النعمة : بالصلاة والصوم وقراءة الكتاب المقدس وبقراءة سير القديسين والكتب الروحية والاجتماعات الروحية والصداقات الروحية وبمحاسبة النفس والمداومة على الاعتراف والتنـــاول .

(ب) أستعمل كل من هـــذه الوسائط فى معناها الروحى وليس فى شكلياتها . إذا صمت لا تأخذ الصوم فى شكلياته . وكذلك فى صلاتك : كل كلمة تقولها ، قلها من قلبك ، من أعماقك ، بفهم ، بجدية .

(ج) خذ حياة التوبة بطريقة جـــدية . تذكر باستمرار خطاياك .

(د) تذكر ضعفك دائمـــا ، وباستمرار كن فى حرص وفى مخافة .

(هـ) لا تسرع إلى التعزية ولا إلى الفرح والاطمئنان .

(و) احتفظ بانضاعك وبالمتكأ الأخير فى حياتك .

وبهذا لا تفقد حرارتك ولا تصل إلى الفتور . وإن فترت لا تبق كثيراً فى فتورك ، إنما تخلص منه بسرعة .

(ز) باستمرار أعرض على الله ضعفك ، واطلب منه معونة ، واطلب أن تكون النعمة معك وتحفظك فى كل خطوة . لا تعتمد على ذاتك فى أمر من الأمور وإنما أطلب معونة الله فى كل أمر ، وحتى فى الأمور التى تبدو بسيطة . والرب يقويك ، لأنه لا يحب أن تكون فاتراً لئلا يتقيأك . . .

ولربنا كل مجـــد وكرامة آمين .

✝ ✝ ✝

مكتبة
دير السيدة العذراء (السريان)